**بداية عجيبة ونهاية اعجب**

**بقلم / الاستاذ محمد حسين عيسى**

* **فى البدء كانت زمزم ماء مقدس فى بقعة مقدسة بركلة الروح القدس عليه السلام . أما الحكاية فأبطالها ثلاثة من الصالحين : ابراهيم خليل الرحمن , واسماعيل جد النبى محمد صلى الله عليه وسلم , وهاجر المصرية المؤمنة الصابرة أم اسماعيل**

**لقد وهب الله ابراهيم عليه السلام على الكبر اسماعيل من زوجته هاجر وقال الله عز وجل ( وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ) ( وابراهيم الذى وفى ) الاية**

**فكان من ابتلائه ووفائه عليه السلام ان الله تعالى بعد ان وهبه على الكبر اسماعيل امره بأمر خطير فى معلوم البشر ولكنه امر عظيم الأثر أمره أن يأخذ إبنه المولود وزوجه هاجر أم الولد ويتركهما فى مكان خال من الحياة جبال صماء وصحراء قحلاء حيث لا زرع ولا ماء وحيث كان هناك بيت الله بناه ادم عليه السلام فعفت عليه الايام والدهور فلا اثر له ولا ظهور**

**وبقلب سليم وبتسليم للأمر الإلهى والرضا بالمقدور يحمل ابراهيم ولده وزوجه ويذهب الى حيث أمره الله أن يذهب بهما وبدون ان يخبر زوجته وام ولده بالأمر يتركهما عند بيت الله الحرام حيث كان البيت أيام آدم ومن بعده ثم يرجع بالصبر واليقين وتتعجب الزوجة المؤمنة لتركهما ورجوعه وتسأله لماذا تتركنا وترجع يا ابراهيم ؟ فلا يجيبهما إلا يجيبهما الا بالصمت والقلب المكظوم فتراجعه السؤال ولمعرفتها أنه نبى لا يفعل الا بالوحى فتقول : أأ الله أمرك بهذا ؟ نعم هى اللقطة الوحيدة التى تفوّه بها خليل الرحمن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فى الموقف الذى لا يصلح فيه الكلام**

**أما الزوجة المؤمنة وقد ذكر الله وأمره فلا تجد غير أن تحدث نفسهما وتطمئن زوجها فتقول له : إذهب فلن يضيعنا الله فأىّ اليقين هذا بعد يقين الخليل ؟ ابراهيم على يقين بالله الآمر له بذلك وهاجر بيقينها بالله فى هذا الموقف والمكان الموحش !!**

**انها ارادة الله تعالى الشرعية لتحقيق ارادته تعالى الكونية ان تكون مكة ام القرى ام الحواضر من المدن اقدس مدينة على وجه الارض بدايتها**

**هذه السيدة الصابرة وابنها اسماعيل وحدهما لا كفيل لهما الا الله فيرسل الله تعالى اليهما جبريل ليركل الارض فتنبعث زمزم ثم تجىء القوافل جرهم اليمنية فتطلب من صاحبة الماء وسيدة الوادى ان تقيم بجوارها على الماء فيتم لها الانس وتدب فى المكان الحيباة ( وجعلنا من الماء كل شىء حى )**

**اما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقد توجه الى الله تعالى وهو راجعا الى الشام قائلا ( ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيم الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ) انه طلب المعجزات من القادر على كل شىء فا لمكان لا زرع فيه ولا ماء فيجعل الله فيه الماء أقدس ماء ولا أنيس فيه ولا حياة فيجعل قبائل من الناس تقيم فيه بل وكل النفوس المسلمة من الناس تهوى اليه حبا ورغبة وتقام فيه الكعبة قبلة الصلاة لكل من توجه الى الله ومكان قفر لا شىء فيه تجبى إليه ثمرات كل شىء مكان غير مأهول ولا مسكون تزوره الملايين كل حين من كل فج عميق بداية مكة كانت حكاية عجيبة انتهت بمعجزات أعجب**

**بيت الله العتيق عليه من الاجلال مايليق**

**بناية من حجارة سود قطعت من جبال مكة على شكل مكعَّب ليس غير ذلك ولكن من أين لهذه البناية ذلك البهاء والجلال والرهبة ؟ !! إنه الله ذو الجلال والإكرام إذ نُسب البناء له وبأمره تم ولعبادته جُعل**

**بيت الله الحرام فى المسجد الحرام فى البلدة الحرام فى حرم مكة المكرمة من دخله كان آمنا والسفر إليه عبادة والحلول بساحته عبادة والنظر إليه عبادة والطواف حوله عبادة والدعودة عنده مستجابة**

**لا يعلم إلا الله ما يصيب زائره من الهدوء والخشية والراحة يضطر حاضره الى النظر إليه ومداومة الإلتجاء اليه وتجيش العواطف والاحاسيس عنده من غير اسباب فما بين باكى من غير حُزن ولا فرح وما بين مسرور وفرح مبتهج بلا لهو أو مرح ومابين لاه عن الاهل بل عن كل الدنيا فهو فى انشراح صدر يود ان تبقى معه هذه الواردات بلا صدر**

**زحام من كل الاجناس رجال ونساء فى اختلاط بلا إثم أو خصام يطوفون حول الكعبة يسبحون ويدعون ربهم بكل لغات البشر فى احتشام ووئام يتفاهمون فيما بينهم بلغة الاخوة والابتسام**

**يتسابق الطائفون حول الكعبة للوصول الى لمس الحجر الاسود فياسعد من كان حظه تقبيله بل لمسه فذلك فوز عظيم فلا عراك ولا عُلوّ اصوات ولكن دعوات وإسْكاب عبرات فقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قبّل الحجر الاسود وهو يبكى وخلفه عمر بن الخطاب ثم نظر الى عمر وقال ( هنا تسكب العبرات ) هنا أحق مكان للبكاء والدعاء هنا القُرب والغفران هنا قبل الرحيل وترك الجوار**

**فيا نظرة أهدت الى الوجه نضرة أمن بعدها يسلو المحبُّ الامتيم**

**فيا لله ما فى حشوها من مسرّة وأصناف لذات بها يُتنعّم**

**فلله واديها الذى هو موعد العز يز لوفد الحب لو كنت منهم**

**فى سنة 1973 ميلادية كنت احج مع والدتى عليها رحمة الله ولم يكن المسجد وبساحته مزدحمة فكنت اجلس مع والدى تجاه الكعبة ننظر اليها فى فيْض نت السرور فإذا اضطررتا الى العودة للسكن بكت والدتى وقالت : أنا غير قادرة على ترك الكعبة نفسى أحضنها زى ابنى فتبقى تعالج عواطفها حتى تتمكن من النهوض والعودة معى للسكن على امل الرجوع من قريب**

**إن هذا التعظيم والتقديس للكعبة لا يَخْتصّ به المؤمنون وحدهم فقد كان المشركون قبل الاسلام يعظمونها ويقدسونها فالشأن منها وليس من النفوس إنه الإعجاز والإعزاز الذى جعله الله لبيته ليكون للناس اية ودليل الى يوم الدين على الايمان والتوحيد وليكون ملجأ للعاصى ليتوب وللطائع ليؤوب**

**ماء زمزم لا هو من ماء البحار ولا هو من ماء الامطار**

**مياه الدنيا إما من البحار وإما من ماء الامطار التى تجرى فى الانهار أو تنبع من الابيار وماء زمزم لا من هذا ولا من ذلك ولذلك العقل فيه يحار فهل سمع احد او علم ان الماء يستغنى به عن الطعام والشراب ؟؟ أوّ ان الماء يستشفى به من الاوجاع والاسقام ؟؟ فماء زمزم ( طعام طُعْم وشفاء سُقم ) واسمها الشّبّاعة وقد صح فى الحديث عن إسلام أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه ظل أياما كثيرة لا يأكل ولا يشرب مكتفيا بشرب ماء زمزم**

**بئر زمزم فى ساحة الحرم المكى اول من حفرها فنبع منها الماء جبريل عليه السلام كرامة للسيدة هاجر وابنها الذبيح اسماعيل وهو مولود حيث لم تجد بعد ان تركها ابراهيم الخليل عليه السلام الماء لسقيها ولتجد اللبن لترضع المولود وثم اعمار المكان وتأسيس البلد الحرام مكة ثم بناء الكعبة المعظمة وحج الناس اليها ثم على مر الزمان اندثرت بئر زمزم وضل عنها الناس حتى رأى عبد المنطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم رُؤيا طلب منه إعادة حفر بئر زمزم وأخبر فى الرؤيا مكانها وكان ذلك من إرهاصات قرب يعثة النبى صلى الله عليه وسلم فنذر عبد المنطلب أن يذبح احد ابنائه العشرة إن تحقق له وجود زمزم وحفرها ولما تم له تحقيق ذلك أراد ان يفى بنذره فأقرع – أى عمل قرعة – بين ابنائه العشرة فخرجت القرعة على ابنه عبد الله فكرر القرعة بين ابنه عبد الله وبين العشرة من الابل فخرجت القرعة على عبد الله فكرر عمل القرعة عشرة مرات حتى خرجت القرعة على الابل فذبح المائة من الابل فداء لا بنه عبد الله وصارت عند العرب فدية القتيل بعد ذلك مائة من الابل لهذا السبب وأقر الشرع ذلك واطلق لقب ابن الذبيحين على النى صلى الله عليه وسلم لان جده الأبعد اسماعيل عليه السلام فداه الله من الذبح بكبش عظيم وأن أباه عبد الله فداه الله من الذبح بمائة من الابل**

**كل أبيار مكة بل الحجاز كله بل ابيار العالم أجمع تخالفها بئر زمزم فى صفاتها وآقارها فمن أين يأتى ماء زمزم ؟؟**

**ملايين الحجاج والعمار يشربون من ماء زمزم ويملون معهم فى أوعية الى بلادهم فى كل اقطار الارض واهل مكة واهل المدينة ومعظم سكان السعودية يحرصون على ان يكون ماء زمزم هو سقياهم وزوار الحرم يتوضؤ بعضهم من ماء زمزم وهى يئر واحدة فمن اين يأتى هذا الماء كله ولا تنضب البئر؟؟؟ فلا يوجد نهر ولا بحر يشرب منه بعض سكان اقطار الارض الا ماء زمزم**

**جاء فى الحديث " ماء زمزم لما شُرب منه " خاصية ليست فى طعام يؤكل ولا مشروب يشرب الا ماء زمزم وجاء فى الحديث " المنافق لا يتضلع من ماء زمزم " أى لا يملأ جوفع منه فالمؤمن فقط اذا شرب من ماء زمزم زنزى أمرا بنيته غالبا ما يتحقق له هذا الامر وقد قال الفضيل بن عباض العالم العابد " شربت زمزم بنية العلم فياليتنى شربته بنية العمل " ذلك لما ناله من العلم ولكن تواضعه قال " ياليتنى طلبت العمل أى الموافق للعلم "**

**سألتنى ابنتى منال فقالت : لى صديقة تزوّجت من سنوات ولم ترزق الولد وقالت لى سلى أباك هل فى الدين شىء يفعل فيتم انجاب الولد ؟ فأجابتها بنعم فعليها أن تذهب هى وزوجها الى العمرة وتشرب من ماء زمزم بنية انجاب الولد فأبلغتها بذلك الجواب فأسرعا لاداء العمرة وحرصا على شرب ماء زمزم بهذه النية وبعد سنوات سألتنى ابنتى منال : هل الدين يسمح لمنع الحمل ؟ فا ستفسرت منها عن سبب السؤال فقالت : صديقتى التى كنت سألتك عنها لانها لاتنجب فأفدتنى بشرب ماء زمزم ففعلت ما أخبرتها به من شرب ماء زمزم فحملت ووضعت بعده توءمين ثم بعد سنة حملت ثانيا ووضعت توءمين فأشفقت على نفسها من كثرة الاولاد وسألتنى أن اسألك : هل يسمح الدين لمنع الحمل ؟؟**

**فأن اقسم أن ذلك حدث**

**مِنَى رحم تَتّسع لكل عدد**

**منى سميت بذلك لما تُمْنَى فيها من الدماء.أـى تراق وتُصب وهى من حرم مكة وهى شِعْب ممدود بين جبلين من جهة مكة أحدهما ثَبير الذى تشرق منه الشمس من جهته والاخر يسمى الصائغ وحدها من جهة مكة جمرة العقبة الى زادى محسر سبعة الاف ذراع وعرضها مابين الجبلين الف ذراع وهى تبعد عن مكة ثلاثة اميال وقرب الجمرة الصغرى بألف ذراع وثلاثمائة ذراع مسجد الخيف الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم وكان يصلى فيه الانبياء قبله والذراع نصف متر والميل ثلاثة كيلو متر**

**منى مساحتها مثل مساحة قرية صغيرة وبرغم صغر مساحتها ينزل فيها فى وقت واحد قرابة الاربعة ملايين من الحجاج وقد جاء فى الاثر " ألأن منى تتسع بطنها لكل من دحلها من الحاج كما تتسع الرحم وبداخلها الجنين**

**ومن معجزات منى المؤكدة ما جاء فى الحديث عن ابى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " أن ما تقبّل من حصى الرمى رُفع ومالم يقبل ترك ولولا ذلك لسد بين الجبلين " فكل حاج يرمى الجمرات الثلاث بسبعين حصاه فى ايام الرمى بمنى سبعة يوم العيد وفى خلال ثلاثة ايام كل يوم واحد وعشرين حصاة لكل جمرة منهما سبعة وهذا العدد يكون جبلا صغيرا كل عام ولم ير احد من ينقل هذه الجمرات التى رُمى بها ولم ير أحد**

**تلالا من الحصى فأين تذهب ؟؟ وخلال مئات السنين وهذه الملايين من الحجاج تلتقط هذه الحصوات من مزدلفة وترمى بها فى منى فلا تتغير المزدلفة او ينقص منها شىء ولا تزيد منى ولا يتغير منها شىء ولا احد ينقل من ذلك شىء فى مكان اخر ولكنها ترفع الى السماء كما جاء فى الحديث**

**الحكمة فى الرمى كما قالا العلماء وذكره النووى فى المجموع : اصل العبادة الطاعة وكل عبادة فلها معنى قطعا لان الشرع لا يأمر بالعبث ثم معنى العبادة قد يفهمه المكلف وقد لا يفهمه فالحكمة فى الصلاة التواضع والخضوع واظهار الافتقار الى الله تعالى والحكمة من الصوم كسْر النفس وقمع الشهوات والحكمة من الزكاة مواساة المحتاج وفى الحج اقبال العبد اشعث أغبر من مسافة بعيدة الى بيت فضله الله كإقبال العبد الى مولاه ذليلا ومن العبادات التى لايفهم معناها السعى والرمى وتقبيل الحجر الاسود والطواف فكلّف العبد بها ليتم انقياده فإن هذا النوع لا حظ للنفس فيه و مدرك فيه للعقل و لايحمل عليه إلا مجرّد امتثال الامر وكمال الانقياد والله اعلم**